قائد الشهداء

■ بقلم هدى الموسوي *

خُيّر لي أن أكتب مقالاً عن الشهيد قاسم سليماني.

فغاصت الأقلام، وتزاحمت الأفكار، و تلاطمت الخواطر كأمواج البحار، بحقيقة شهيدٍ عطرّ بمسيرته كلّ الكرام، وخطى بقدميه آثار الطيبين الاطهار، فكيف بمقدوري أن أكتب عن شهيد، حارت لشهادته عقول المفكرين العشاق.

إنّه الشهيد قاسم سليماني، الذي دوّن اسمه منذ نعومة أظافره في ديوان الشهداء. وكتب بدمه تاريخاً على صفحاتٍ تتداولها الأجيال، لتِسلُك طريقه وتلتحق بركب الشهداء الأخيار.

إنّه القائد الفارس المقِدام، العاشق الولهان بحب الله، و لقائه ببحبوحة الجنان، حتى إرتقى سلّم الكمال، و حاز رتبة أو سمة الأولياء، فنال نصيباً من أبواب الجنان التي منحها الله لخاصة الأولياء.

كما قال إمام المتقين (ع) : " فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه " فليس كُلُ من طلبَ الشهادة وفق لها، فهذا الباب لا يدخله إلا الخواص من الأولياء.

فمن نال الشهادة يكون محل عناية الله و رضاه.

فالشهيد سليماني وفق لنيل شهادة قلَّ نظيرُها، وليس غريباً أن يفوز باللقاء، و يقع في نطاق رحمة الله تعالى.

فالشهادة هدية كما قال الامام الخميني (قدس سره): "الشهادةُ هدية من الله تبارك وتعالى لمن هم أهل لها"، فعلى الانسان أن تتوفر فيه صفات الشهيد، و يكون أهلاً للشهادة حتى يَمُنَ الله تعالى عليه بها.

تعريف مقام الشهيد:

الشهيد لغةً: هو الحاضرُ، والشاهد، وهو الشخص العالم الذي يكشفُ ما إكتسبه من علم.

و تعتبر كلمة شهيد إشتقاقاً من الفعل الثلاثي، (شهد) و يُقال: (إستشهد أي أنه طلب الشهادة لتأكيد خبرِما و مُعاينته، واستشهد في سبيل الله، أي أنه قدم حياته على كفه سعياً لنيل رضا الله).

مراتب الشهداء:

يُعتبر الجهاد أعلى مراتب بيع الدنيا، و شراء الآخرة بالجهاد بالنفس، و يُعتبر الفوز العظيم الوارد ذِكرُه في مصادر التشريع، وهي كالتالي: حيث بيَّن فضلَ الشهادة في سبيله في مواضِعَ مُتعددة بقوله تعالى ﴿ و لا تَحسبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند رَبِّهم يُرزَقون ... ﴾

فالشّهيد حيٌ بيننا لأنه أحيا الأمة بدمائه في سبيل كرامة الناس. وفي سبيل سعادة الناس. وأمن الناس، فالشمعة تحترق من أجل أن تعطينا الضوء، وهكذا الشهيد يحرق نفسه في سبيل تغيير مصائر الشعوب. فجراحاتُه تُعتبر أوسمةُ شرف، لذا يُحشرون الشهداء بدمائهم. فالشهيدُ حيٌ في حياة الأمة لأنه أيقظها من السُبات، فالأمة التي تعيش تحت الطغاة هي أُمّة مَيّتة، فالله عندما يكرم الشهداء، فالأمة تكون جديرة بالحياة من أجل نشر الضياء، فكما أن هناك في الدنيا قادة من المجاهدين كذلك الحال، في الآخرة هناك من هو أعلى مرتُبة.

و لذا قال الرسول (ص) « الشُهداءُ أمراء أهل الجنة» فهم ذووا مراتب مُتعددة وقد نال الشهيد سليماني أعلى مراتبها.

فضل الشهادة:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ..﴾

في جوهر هذه الآية إشارة واضحة أن هناك صفقة تجارية بمعنى أن هناك معاملة بيع وشراء.

فأول ما يتبادر إلى الذهن، لماذا يشتري الله؟

فالمشتري يشتري شيئاً ليس له، في حين أن أنفسَ المؤمنين وأموالهُم، هي مُلك لله، فالله يشترى الأنفس مع أنها له لكن إعتبارياً ملّكها للانسان ثم اشتراها منه، وهذا شرف بأنه ملّكه نفسه.

وهذا من مقتضى رحمته و عطفه على الانسان.

فالشهادة هي من أربح الاعمال. ولذا الامام الحسين (ع) يقول: «إعلموا أنه ليس لأنفسكم ثمن غير الجنة فلا تبيعوها بغيرها» فالذي يتعامل مع الله لن يكون خاسراً، وأيُّ جهاد أعظم من أن يبذل دمه في سبيل الله، لذا فالشهيد ينالُ أعلى الدرجات.

فالشهيد يتميزَّ عن غيره، لأنه لا يُغسل بل تبقى جراحاته أو سمة له.

يقول الشاعر: « فالجود بالنفس أقصى غاية الجود» و هنا تكمن عظمة الشهيد لأنه إختار طريقاً فيه ضمان لأخرته، و لذا الشهيد سليماني كانت الشهادة غايته، فكان دائم الحديث عن الشهادة يتمناها من كل قلبه، وينتظرها في كل لحظة، وهدفُه الأسمى أن يَلقى ربَّه ملطخاً بدمه و كان إختياره لها بدافع الحب الالهي والعشق الولائي.

آثار الثورة الحسينية:

إن ثورة أبي عبد الله الحسين (ع) تركت أثراً عظيماً في نفوس الشهداء، وفي طليعتهم الشهيد السعيد سليماني، حتى جعلت من هذا الحب الحسيني، من نفسه حب الثأر لدم الحسين المظلوم (ع) لأن الحرب التي فرضت على الحسين (ع) هي حرب للمبدأ وللعقيدة، ولذا كان مشهد كربلاء أمام عينيه. فقدم نفسه قرباناً لله تعالى.

> **الشهادة هدية كما قال الامام الخميني (قدس سره): "الشهادةُ هدية من الله تبارك وتعالى لمن هم أهل لها"، فعلى الانسان أن تتوفر فيه صفات الشهيد، و يكون أهلاً للشهادة حتى يَمُنَ الله تعالى عليه بها.**

تضحيات الشهداء:

هؤلاء الشهداء جسدوا مسيرة كربلاء، لأنهم قدموا كل ما لديهم، ترفعوا بأرواحهم عن زخارف الدنيا، لم يكترثوا لها، إتصفوا بصفات المتقين الذين وصفهم أمير المؤمنين (ع) قائلاً : "عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه" فحبذا لو نقتدي بهم، هؤلاء كانوا بيننا أكثر سروراً وإعتزازاً وأقوى شكيمة، وإرادة، لأنهم نالوا العزة السرمدية والحياة الأبدية سقوا بدمائهم الزكية شجرة الإسلام، وسعوا باختيارهم وبجهادهم، ووقفوا صفاً واحداً أمام جبهة الأعداء، وانتقلوا إلى دار السعادة الأبدية، مرفوعي الرأس وفي طليعتهم الشهيد قاسم سليماني، الذي سعى بكامل إرادته لأن يكون في عداد الشهداء وسالك درب إلى الجنة.

فكان حاضراً من كل المواقف فكراً وروحاً وجسداً، فكان جهادياً كربلائياً بحق.

الامام الخميني ونهج الاسلام:

هذا الإمام العظيم (قدس) انطلق من فكرة كل ما لدينا من عاشوراء، حتى استطاع بذلك أن يغير مسار الأمة بكاملها، لأنه تحلّى بشخصية قيادية تحمل في طياتها بعداً روحياً رسالياً حسينياً بكل ما للكلمة من معنى، اذ لا مثيل له بعد الأنبياء والأوصياء، ولا زال نوره يلمع في كل الأرجاء، هذا الإمام أنار قلوب المستضعفين الشرفاء بنور الأمل، فهو وديعة إلهية وحجة علينا، ومظهر من مظاهر عظمة الله سبحانه وتعالى.

هو سيف علي الذي فدى رسول الله (ص) ونفسه الذي بات على فراش رسول الله (ص) مدافعاً عن دين الله قائلاً: "أبسلامةٍ من ديني".

فكما كان علي (ع) ذراع رسول الله (ص) كان سليماني ذراع القائد الخامنئي (دام ظله) وكما كان علي سيف الله، سليماني كان سيفاً للإسلام المحمدي الأصيل، مقداماً شجاعاً لا يهاب الموت، حتى كان يخيف الأعداء.

الإسلام العزيز:

هذا الإسلام منذ ظهوره في الجزيرة العربية، كان مستهدفاً من قبل الحكام الخونة فاستطاع الامام الخميني (قدس) أن يخرجه من دائرة الإستهداف ويدخل العالم في هديه حتى ذاب في الإسلام، حاملاً لفكر الأنبياء والأوصياء بفخر وإعتزاز، قائلاً: " نحن نفتخر بأنّ منا باقر العلوم، وهو أعظم شخصية رسالية تاريخية ما عرفها إلا الله ورسوله، نحن نفتخر بأنّ مذهبنا جعفري، ونحن نفتخر بجميع الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، ونلتزم باتباعهم، نحن نفتخر بأنّ أئمتنا المعصومين (ع) قضوا أعمارهم سجناً وتشريداً في سبيل رفعة الإسلام ".

وتطبيق أحكام القرآن، فهذه المدرسة ربت أجيالاً، هذه المدرسة العظيمة التي بناها وشيّد أركانها الإمام العظيم، كان من جملة ثمراتها الشهيد الفذ قاسم سليماني، فهو في كل محطة شامخة ترى

> **يُعتبر الجهاد أعلى مراتب بيع الدنيا، و شراء الآخرة بالجهاد بالنفس، و يُعتبر الفوز العظيم الوارد ذِكرُه في مصادر التشريع، وهي كالتالي: حيث بيَّن فضلَ الشهادة في سبيله في مواضِعَ مُتعددة بقوله تعالى ﴿و لا تَحسبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند رَبِّهم يُرزَقون ... ﴾.**

لـه وجـوداً وحكاية.

الخامنئي الخلف المؤتمن:

رحل الإمام الخميني (قدس) وجاء خلفه من هو القائد والولي المؤتمن على الإسلام. فكان موضع ثقة الإسلام وسره، حتى أخذ مأخذاً عند روح الله الموسوي الخميني (قدس) وأشاد بشخصيته، أمام بعض العلماء قائلاً:

"إذا كنتم تظنون أنكم تستطيعون أن تجدوا في كل العالم شخصاً مثل السيد الخامنئي (دام ظله) الملتزم بالإسلام والخادم الذي جبل على خدمة هذه الشعب، فإنكم لن تجدوا من هو أفضل منه. إنني أعرفه منذ سنوات طويلة أنعمها الله علينا".

فهذه الوديعة الإلهية التي أشار إليها الإمام (قدس) احتفظ بها من هو أهل لها، ومن يعرف قدره ومكانته، غير أصحاب العلم والبصيرة، حتى جاء من هو نافذ البصيرة، وأعتنقها فكراً وروحاً وجسداً، وسلاحاً مدافعاً باليد واللسان.

إنه القائد سليماني، وأشار إليها انِفاً وقال: "هي بمثابة الخيمة التي على الأمة بأسرها، أن تتمسك بها وتلتّف حولها، منعاً لأي إختلاف أو شرذمة، حتى كان يرى ذلك واجباً على المسلمين جميعاً.

فكان يقول: " إنها خيمة رسول الله (ص) لأنها امتداد لولايته، ومحل روحه ونهجه، وما نراه من عداء لها هو عداء لله والقرآن، وإن سقوط هذه الخيمة سيؤدي إلى سقوط كل الاحرام والمقدسات، التي تستمد قوتها من حاكمية الإسلام، وإقتداره، ولن يكون القرآن بمنىً عن ذلك، فإنه سيفقد فاعليته وميدانه العلمي، الذي يعتمد على بلورته على الولاية."

إنّ أهم ومضة من حياته وعقيدته ومسيرته، أنّه عرف القائد، وعرف وليه وعرف الإمام الخميني (قدس) والخامئني (دام ظله) وخطّ الإمام واتّبعه سيراً وسلوكاً، وهذا هو الولاء الخالص لله الذاب عن حرم الله، والمؤيد والمتمسك بحبل الله وحبل رسوله والأئمة عليهم السلام من بعده.

إنه حسيني كربلائي، فكان جندياً للولي الفقيه، وكان يفتخر بذلك، حتى أوصى الناس به قائلاً: " يجب أن ترفع عنه المظلومية، وأن لا يترك وحيداً غريباً حتى لا يتكرر مشهد كربلاء، فكان ينظر بعين القلب، يتمتع بالوعي والبصيرة، كان يحرص على مصير الأمة خوفاً عليها من الضياع والهلاك، وهذا هو المعنى الحقيقي للتّولي والتّبري، بأن يكون الإنسان في الخط الدفاعي عن الولاية، التي تتجسد بشخصية القائد الخامئني (دام ظله) العالم الرباني، وهذا هو الولاء العملي، سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم ،وأن أكون سلماً للولي، وحرباً لمن حاربه، لأن الولي الفقيه هو الحصن الحصين في زمن الغيبة" .

هو المكمّل لخطّ الولاية، هو المداد المجسد لولاية محمد وآله الأطهار عليهم السلام.

وهذا هو مفتاح الإنتصارات والعزة والكرامة، نحن كأبناء يجب أن نتمسك بهذه

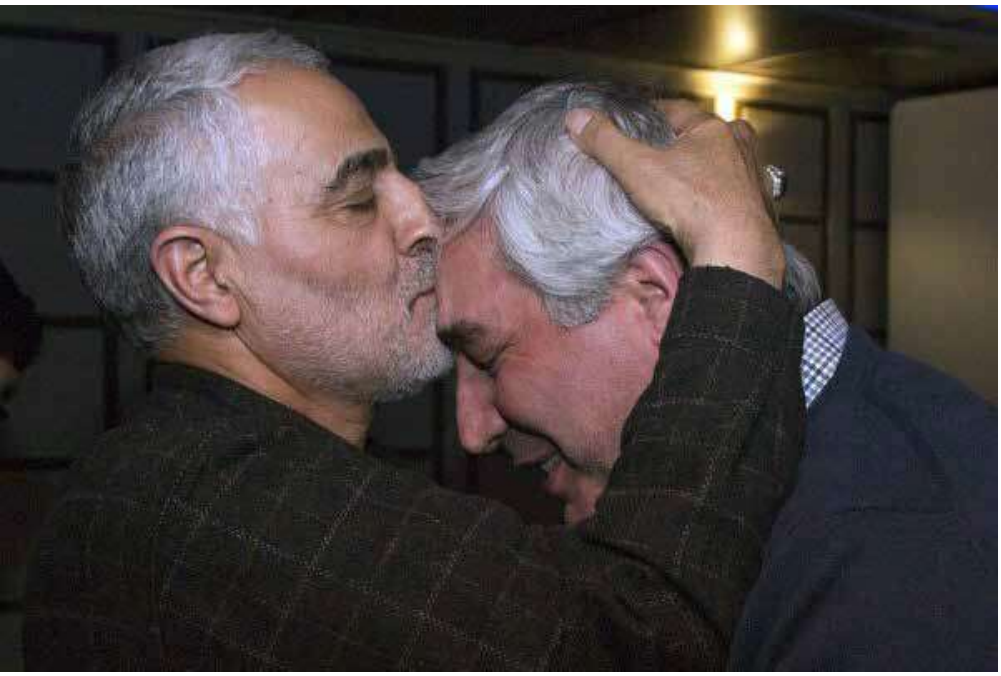

الراية وراية المقاومة، والشهيد سليماني، كان من حملة راية الولاية، الذي أعز الإسلام ومدرسة الحسين (ع) وفاح عطره في كل الأرجاء.

القائد سليماني خريج مدرسة العرفان:

تخرج من مدرسة القائدين العالمين، الخميني والخامئني، هو ربيبهم، وحامل فكرهم وأصالتهم، تربى وترعرع في أحضانهم، فهم أصحاب الفكر الولائي والأمناء على الرسالة السماوية، الذين عبروا حياتهم بطيّ مدارج العلم والكمال، إنه النموذج المثالي، الغارق بالعرفان، العارف بكل زمان، والعالم بعلوم القرآن، والمطبق للأحكام، فالشهيد سليماني لم يكن قائداً ميدانياً فحسب، إنما كان مبلغاً رسالياً دينياً، من كل مكان معظماً لشعائر الله سبحانه وتعالى، كان بناءَ مساجد، وبعض المسارح الدينية، متجولاً بين الناس مطّلع على أحوالهم، يحلّ مشاكلهم ومنفس كربهم، بكلمة قالها: حتى وصل صداها كل المسامع .

هذه الكلمة على بساطتها ولكنها زرعت في نفوس الناس روح الأمل والتفاؤل بحيث أصبحت ترى كل الأحداث من حولها بما فيها من مصائب، بالنسبة لها كله خير، وهذه هو الإنسان المؤمن أينما حل يفوح عطره في كل مكان. منطقه لله ونفسه لله.

اختيار الطريق:

لم تكن الدنيا تعني له شيئاً، عاش حياة الفقراء، رغم أنه كان بإمكانه نيل الشهرة والمنصب، كان ملازما للقرآن، حتى في الجبهات، كان عاشقاً لأهل البيت، طلبه الحثيث والملّح للشهادة، حتى بمحضر العلماء كان دائماً يتحدث عن الشهادة، فاختصر سفره الدنيوي بطي السفر إلى الملكوت الأعلى، أختار الطريق إلى الى الله تعالى، الذي يوقظ الأرواح، ويطّهر النفس ويبعدها عن ملذات الدنيا الدنية، حتى أن ذلك ترك وقعاً بين المجاهدين، ورسم صرحاً قدوة وإقتداء على رمال الجبهات، وفي الجبال والوديان.

نظرة المرأة للشهيد:

إن جئت تسأل إمراة عن شهيد رباني: فإنك تسمع جواباً سليماني ليس إنساناً

عادياً، بل هو إنسان ملكوتي عارفٌ نوراني، فتروي عنه حكاية أمد، إنّه الإنسان المثالي، الذي إتصف بأجمل المشاعر الإنسانية وبقلبه العطوف، وصدره السموح ووجهه الضاحك، وأخلاقه الرفيعة، وسلوكه الحكيم، وردّه الحليم، ولسانه اللين ويده المعطاء، وروحه المطمئنة، إنه الرجل الفريد من نوعه، الأب الحنون، والحضن الدافىء والعاشق لربه، مما جعل وصيته مفعمة بالمعارف والتجارب، والمفاهيم التربوية الراقية، ببعدها العملي والسلوكي، فعكس الجانب العملي لخط الإمام واختصره بإنتمائه لمدرسة الولاء، ذلك الرجل الذي اقتحم كل ميادين الجهاد، بكل بسالة وسداد، فزلزل عروش الأعداء ودب الرعب في صفوف المستكبرين الأوغاد، إنّه القدوة والقادة، كان سليماني، مقتحماً، مقداماً لا يهاب الموت، يواجه الأعداء المحاربين لله ولرسوله عليهم السلام بكل قوة، فكان مصداقاً للآية:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾

اهتمامه بأسرته:

كان متنقلاً في ساحة الجهاد، من ايران إلى لبنان إلى اليمن إلى سورية إلى فلسطين إلى العراق المقدسة، بدافع الحب لله والإنسانية، حتى قضى من عمره أربعين عاماً، لم يعرف طعم الراحة والنوم، وهب نفسه لله، ولم يهدأ باله حتى تحرير الأرض من الظالمين والطغاة الملحدين والدواعش، هذا الرجل حمل الحقّ على راحتيّه، ورسم الوفاء والإخلاص في خطوط يديه، ونذر نفسه لله مسطراً آيات الشجاعة والمقاومة، فكان معظماً لشعائر لله، ملتزماً باحكام الله، يعمل وفق ما يطلبه الشرع منه.

ولم يكن عمله في الجبهات، ينسيه أمر العيال، حتى كان يصطحب معه في بعض الأحيان ابنته، فكانت رفيقة دربه، وهذا إن دلّ على شيء يدل على مدى أهتمامه بشؤون المرأة، واظهار أهميتها ودورها كإنسان عارف وملتزم بأحكام الله، هي أساس المجتمع، ولهذا لم يكن ليغضّ الطرف لحظة واحدة عنها، وهذا ما عرفناه وسمعناه بعد شهادته من ابنته وزوجته وهما اقرب الناس إليه، وأصدق ما يمكن أن يعرّفنا عن نظرته للمرأة،حتى أنه من جملة ما كتب في وصيته لزوجته أنه قال لها : " أنت جزء من سر نجاحي الجهادي " فكان يولي إهتماماً كبيراً لها، ولهذا تراه في وسط الجبهات دائم الإتصال بزوجته وعياله، وهذا هو الإسلام، أولى المرأة إهتماماً كبيراً وأعطاها كامل حقوقها، بوصفها إنساناً وكرّمها بوصفها زوجة، وأماً، وعضواً أساساً في المجتمع.

فالشهيد سليماني إنطلق من وجهة نظر الإسلام للمرأة، فكانت نظرته لها نظرة اعتزاز وإجلال.

تواضعه:

كان غزير الدمعة يحنو على الأيتام،

> **إن ثورة أبي عبد الله الحسين (ع) تركت أثراً عظيماً في نفوس الشهداء، وفي طليعتهم الشهيد السعيد سليماني، حتى جعلت من هذا الحب الحسيني، من نفسه حب الثأر لدم الحسين المظلوم (ع) لأن الحرب التي فرضت على الحسين (ع) هي حرب للمبدأ وللعقيدة، ولذا كان مشهد كربلاء أمام عينيه. فقدم نفسه قرباناً لله تعالى.**

وأولاد عوائل الشهداء، كان ليناً معهم، خلوقاً لطيفاً مع إخوانه، وأخواته، يقضي حوائجهم، ويجالس الفقراء، ويشاركهم طعامهم، ففي الحديث "من أصلح فيما بينه وبين الله اصلح الله بينه وبين الناس".

"ومن تواضع لله رفعه الله"

وهذا ما ظهر بعد شهادته، في تشيعه، اذ لا مثيل له، ولم يكن ليحصل عليه أحد في العالمين، الا الخواص من الناس، فتهافتت اليه ملايين الناس، يتسابقون لتوديع جثمانه الطاهر، حتى خرج الكبير والصغير وضجت ساحات المدن بالناس المحبين له، من العراق إلى طهران إلى قم إلى كرمان مسقط رأسه، كباراً وصغاراً ليتباركوا من جثمانه الطاهر. هذا هو الشهيد القائد العارف، رحل بقلبه الطاهر السليم إلى الرفيق الاعلى موارثاً الرحمة والسيرة الطيبة بين الناس، وفي كل مكان.

الوداع :

هذا ما بان منه، وما خفيّ أعظم، فسرّه عند مليك مقتدر، فمن ضلوع الصدر الحزين، والقلب الجريح، والدمع السكيب أسطر مقالتي عن الشهيد سليماني، ليعرف العالم ماهيّته، ويلتحق بركبه كل حبيب، ليكون درساً لكل جيل مجاهد أصيل، ويعي قلبه الوعاء السليم ويفوز بالجنة النعيم، فهذا هو الشهيد مع عظيم رتبته وعلو شأنه ومكانته وشموخ مقامه لم يعرّف عن نفسه حتى أنه من جملة ما أوصى به أن يُكتب على قبره (هذا قبر الجندي).

وأخيراً أقول: السلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت يوم تبعث حياً، وحشرك الله إلى جوار الأولياء والصّديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، اللهم ارزقنا شفاعته واحشرنا معه إنك أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين.

***شقيقة الشهيد عباس الموسوي الأمين العام الاسبق لحزب الله.**